بسم الله الرحمن الرحيم

زبدة النقول وخلاصة المحصول فيما قيل بحديث النزول

الحمد لله الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه الغر الميامين.

أما بعد ،،،

فاعلم أخي الطالب للحق أن الجمع بين المعقول والمنقول هو دأب العلماء العاملين في كل الأزمان وقد جعلهم الله ورثة الأنبياء وفضّلهم بكل ما هو معقول وبصّرهم بفهم ما هو منقول ومن ذلك ما حصحصوا فيه الحق من حديث النزول بالسند المتصل عن أفضل مخلوق وأزكى رسول، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ يَنْزِلُ ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثُلث الليل الأخير يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له ﴾[1].

وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما أنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ أن الله عز وجل يُمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر منادياً يُنادي هل من داعٍ فيستجاب له؟ هل من مستغفرٍ فيغفر له؟ هل من سائل يُعطى؟ ﴾[2].

وعن عثمان بن أبي العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ تفتح أبواب السماء نصف الليل، فينادي منادٍ: هل من داعٍ فيستجاب له، هل من سائلٍ فيعطى، هل من مكروب فيفرَّج عنه، فلا يبقى مسلم يدعو بدعوةٍ إلا استجاب الله عز وجل له إلا زانية تسعى بفرجها أو عشَّاراً ﴾[3]. والعشَّار: صاحب المكس.

---

(1) رواه البخاري (29/3 ومسلم 522/1).

(2) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة (ص 340 رقم 482).

(3) رواه أحمد (2179/22/4) والبزار (44/4) كشف الأستار والطبراني (51/9).

قال الحافظ قي الفتح (30/3) في شرح الحديث الأول أن بعض المشايخ ضبط الحديث بضم الياء في"يُنزِلُ" فتوافق مع ما جاء عند النسائي وأحمد والبزار والطبراني وهو الصواب الذي يتوافق مع قواعد أصول الدين وعلم مصطلح الحديث وهو ما بينه العراقي في ألفيته:

وخـــيرُ مـــا فســـرتُهُ بـــالواردِ   كالـــدُخِ بالـــدُخانِ لابـــنُ صـــائدِ

وعملاً بقاعدة "الترجيح بدون مرجح حرام" وَلِمَ فيه من كمال تنزيه الله وصفاته عن صفات المخلوقين والمحْدثين وعن الحركة والسكون وهو الذي يجب في حق الذات الإلهية مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، والذين شرحوا حديث النزول على ظاهر لفظه قالوا أنه نزول رحمة. ذكر ذلك الإمام الحافظ النووي في شرحه على صحيح مسلم (37/6) قال أن الإمام مالك رحمه الله تعالى – وهو من رموز أئمة السلف-: أوَّل النزول هنا بنزول رحمة كذلك نقله صاحب الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية جزء (132/3) فتأمل. تعالى الله عما يقول أهل التشبيه، وروى مسدّد بن مسرهد في مسنده عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال:"كان الله ولا مكان"، وقال أيضاً: "إن الله تعالى خلق العرش إظهاراً لقدرته لا مكاناً لذاته"

وقال الطحاوي في عقيدته: "تعالى عن الحدود والغايات والأعضاء والأركان والأدوات لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات".

قال الإمام الباقلاني رحمه الله: "أنه تعالى مُتقدس عن الاختصاص بالجهات".

وقال أبو منصور البغدادي الشافعي في كتابه "الفَرق بين الفِرَق": "وأجمعوا على أنه لا يحويه مكان ولا يجرى عليه زمان".

وقال حجة الإسلام الإمام الغزالي الشافعي رحمه الله : "ندّعي أنه ليس في جهة مخصوصة من الجهات الست ومن عرف معنى الجهة ومعنى لفظ الاختصاص فهم قطعاً

استحالة الجهات على غير الجواهر والأعراض إذا الحَيز وهو الذي يختص الجوهرية، ولكن الحيز إنما يصير جهة إذا أضيف إلي شيء آخر غير متحّيز"

وقال أبو سليمان الخطابي: "إن الذي علينا وعلى كل مسلم أن يعلمه أن ربنا ليس بذي صورة وهيئة لأن الصور تقتضي الكيفية والكيفية عن الله وعن صفاته منفية". رواه البيهقي في الأسماء والصفات.

وفي هذا أنشد ابن مكي في عقيدته الصلاحيّة قائلاً:

وصـــــانِعُ العـــــالَمِ لا يَحوِيـــــهِ   قُطْــرٌ تعــالى اللهُ عـــن تَشـــبيهِ

قَـــد كـــانَ مَوجـــودًا ولا مكانـــا   وحُكمُـــهُ الآنَ علـــى مَـــا كانَـــا

سُـــبحانَهُ جَـــلَّ عَـــن المكـــانِ   وعَـــزَّ عَـــنْ تغـــيُّرِ الزَّمـــانِ

فقَـــدْ غـــلا وزادَ في الغُلـــوّ   مَـــنْ خصَّـــه بجهـــةِ العُلُـــوّ

وقال جمال الدين أحمد بن محمد الغزنوي الحنفي في كتابه "أصول الدين": " فصل (صانع العالم ليس في جهة ولا تحويه الجهات الست لأنها حادثة وهو الذي خلقها، فلو صار مختصا بجهة بعدما خلقها لكان يتخصص بمخَصِص، وذلك باطل) "، والله ورسوله أعلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين

حرره خادم العلم الشريف أبو الفضل أحمد بن منصور قرطام الحسيني المالكي الفلسطيني كان الله له ولوالديه

ولكل من كان له فضل عليه بمنه

وكرمه آمين آمين آمين.

إعداد:

قسم البحوث والدراسات

واحة آل البيت لإحياء التراث والعلوم

11 شوال 1428هجري الموافق له 22 أكتوبر 2007